(٣٩)

شهداء بدر
وهبوا أرواحهم لتكتب للإسلام الحياة

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة المجادلة الآية ٢٢].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة النساء الآيات من ٩٧ – ٩٩].

* * *

«ساحة بدر، وقد هدأ الغبار، وغاضت المعركة، وانكشفت قريش، ولاذ طواغيتها بالفرار.. هزم جمعهم وولوا الدبر تاركين أشلاءهم ومن وقع فى الأسر من جبابرتهم.. ينظر المسلمون فيرون نصر الله ماثلاً مجسدًا أمامهم.. ما كان يدور بخلد أحد أن يغلب ثلاثمائة نيفًا وألفًا.. ولا كان فى حسبان أحد أن تبلغ خسائر الكفار سبعة أضعاف خسائر المسلمين.. فقد الطواغيت من صناديدهم نحو سبعين، وفى الأسر مثلهم.. على مرمى البصر تبدو فلول قريش تغادر المكان مهزومة ثكلى.. تمضى قريش مدبرةً كسيفةً إلى مكة.. لا يكاد أحدهم يلتقى نظره بنظر صاحبه حتى يوارى وجهه خجلاً من سوء أعمالهم وما حل بهم!!».

«المسلمون رغم النصر، يقفون خاشعين أمام جلال الموت.. يبادرون إلى من فقدوهم فيطهرونهم للدفن.. يودعون الثرى فى قليب صفوة أبطالهم الذين وهبوا حيواتهم ليكتب للإسلام الحياة.. تفيض عيون المسلمين من الدمع الخاشع الصامت الوقور، وهم يشيعون شهداءهم الأبرار: عبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب، وعمير بن أبى وقاص الفتى الغض الذى أبى إلا أن يبكى حتى يجيز الرسول خروجه وسط المجاهدين، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة، وعاقل ابن البكير، ومهْجع مولى عمر بن الخطاب،

وصفوان بن بيضاء، ومبشر بن عبد المنذر، وسعد ابن خيثمة، ويزيد بن الحارث، وعمير بن الحمام الذى ألقى التمرات وخاض الغمار ليفوز بما تمناه، ورافع بن عبد المُعَلّى، وحارثة بن سراقة، وعوف ومعوّذ ابنا الحارث لأمهما عفراء..».

«النبى - ﷺ - يقف بين المسلمين خاشعين بعد أن دفنوا شهداءهم فى مثواهم.. الدموع فى مآقيهم حزنًا على فراق الراحلين!!».

«ينظر النبى عليه السلام إلى القتلى من قريش، فيأبى أن يتركهم فى العراء لجوارح الطير.. ينادى أصحابه أن يدفنوهم فى القليب (البئر).. يغالب المسلمون أشجانهم وأتراحهم وإجهادهم، فيجمعون قتلى قومهم الذين آذوهم وأخرجوهم.. يغيبونهم فى القليب ثم يغطون عليهم بالتراب والحجارة..».

«النبى عليه السلام وقد أرخى الليل سدوله، وخيم الظلام إلا من نور القمر.. يقف حيث غابوا فى القليب..».

النبى : (يغالب أحزانه) يا أهل القليب.. أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟! هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقًا، فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقًا.. بئس العشيرة كنتم لنبيكم: كذبتمونى وصدقنى الناس، وأخرجتمونى وآوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس!! كذبتمونى صادقًا، وقد وجدت ما وعدنى ربى حقًا!!

عمر بن الخطاب : يارسول الله، أتكلم قومًا موتى؟!

النبى : مـا أنتم بأسمع لما أقول منهم! ولكنهم لا يسـتطيعون أن يجيبونى!.. إنهم ليعلمون الآن الذى كنت أقوله لهم حقًا!!

«النبى ﷺ يلتفت فيرى أبا حذيفة بن عتبة ابن ربيعة مطرقًا وقد علت وجهه سـحابة.. من لحظات شاهد مواراة جثمان أبيه عتبة بن ربيعة فى القليب.. يحس النبى بما يجتاح صاحبه من مشاعر..».

النبى : (لأبـى حذيفـة حانيًـا مترفقًا) يا أبا حذيفـة، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء؟

أبو حذيفة : (يرفع رأسـه) لا والله يا رسـول الله، ما شككت فى أبى ولا فـى مصرعه، ولكننى كنت أعـرف من أبى رأيا وحلمًا وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسـلام فلما رأيت مـا أصابه وذكرت ما مات عليه مـن الكفر بعد الذى كنت أرجو له.. أحزننى ذلك!

النبى : (يربت عليه فى تأثر) جزاك الله خيرًا يا أبا حذيفة!

* * *

«باحـة بدر بعـد المعركة.. أبو اليسـر كعب ابن عمرو، رجل صغـير الحجم ضعيف البنية، يقـود أسـيرًا ضخمًا جسـيمًا، هـو العباس بن عبد المطلـب.. تعـرف عليه أبو اليسـر قبل أن يهـوى عليه.. فأحجـم عن إيذائـه، وبادر إلى أسـره.. يدهشـه من أمر العباس أن أول ما فعله السـؤال للاطمئنان على النبـى ﷺ.. قال له

أبو اليسر: إن رسول الله نهى عن قتلك.. فرد العباس: ليس بأول صلته وبره!».

«يقتاده أبو اليسر إلى حيث أسرى قريش..».

«يطير أبو اليسر إلى النبى - ﷺ - يبلغه بأنه أسر العباس..».

النبى : (متبسمًا) كيف أسرت العباس يا أبا اليسر (يلمح إلى ضخامة العباس)؟!!

أبو اليسر : يا رسول الله لقد أعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد.. (يمضى فى وصف هيئته لغريب لا يعرفه أحد)!

النبى : (متبسمًا) لقد أعانك عليه ملك كريم!

* * *

«المسلمون بعد أن فرغوا من دفن شهدائهم وقتلى قريش، ينظرون فى الأسرى الذين ناهزوا السبعين.. حفظ الآسرون لهم حيواتهم.. إلا ما كان من أمر رأس الكفر أمية بن خلف وولده.. أراد عبد الرحمن بن عوف أن يجيره فيأسره ليحميه من مصيره المحتوم على ما قدم من إساءة بالغة للإسلام والمسلمين!!، فغلبه عليه بلال بن رباح.. لم يستطع أن يكبح جماح ثقل الأيام والليالى الطوال التى أمضاها ذليلاً معذبًا يتشفى فيه أمية وهو يلقيه فى الرمضاء ويضع على صدره الأحجار الثقال ويأمر عبيده بضربه بالسياط ليكفر ويقول فى الله ورسوله نكرًا،

فيأبى إلا أن يتصـبر بندائه الأثير: أحدٌ أحد..
فـى لحظة انفجرت هذه الصور وإسـاءات رأس الكفر للإسـلام ورسولـه فى حنايا بلال، فلم يدر إلا وقد أنفذ كلمة الله فيه!».

* * *

«وسـط الجرحى من المسلمين.. معاذ بن عمرو ابن الجموح، مصـاب بإصابات بالغة، وقد فقد إحـدى ذراعيه.. يغالب آلامـه، يحكى لبعض المسـلمين كيف نال من أبى جهل قبل أن يلحق به عبد الله بن مسعود».

معاذ : كـان متحصنًـا حتى سمعتهـم يقولـون إنـه فى مثل الحَرجة (الشجرة الملتفة).. يتباهى بعضهم فيقول أبو الحكم لا يُخلـص إليـه.. جعلته من شـأنى.. أخذت أبحث عنه حتـى رأيته صمدت نحوه (قصدت نحوه).. لما تمكنت منه حملت عليه فكانت ضربة هى الضربة.. ضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى..

«ينظـر المحيطـون بـه إلى موضـع ذراعـه المفقودة!!»

معاذ : تعلقت ذراعى بجلدة فى جنبى، وأجهضنى القتال عنه.. لقد قاتلت عامة يومى وإنى لأسحبها خلفى (ينظر إلى موضع ذراعـه).. فلما آذتنى وضعت عليهـا قدمى ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها!!

* * *

«وسط الأشلاء، والحزن على الشهداء، والرضا بما قسمه الله.. لا ينسى الرسول ﷺ الأبطال المغاوير.. يرعاهم ويكفكف عنهم.. قريرة بهم عينه.. يمد ﷺ بصره فيلمح الصنديد عكّاشة بن محصن.. إنه ليذكر كيف تابعه يقاتل بسيفه حتى انقطع في يده فأتاه فلم يجد ﷺ ما يعطيه إليه إلا جزلاً (قطعة قوية) من الحطب ليقاتل به.. يقول له: «قاتل بهذا يا عكاشة».. يدور الزمان دورته، فيسمع الرجل من النبى ﷺ: «يدخل الجنة سبعون ألفًا من أمتى على صورة القمر ليلة البدر».. فيتمنى عكاشة قائلاً للنبى: «يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم».. فيقول له ﷺ حانيًا: «إنك منهم.. اللهم اجعله منهم..».

* * *

«المسلمون يبيتون ليلهم مسهدين، بين أفراح النصر، وتذاكر ما رأوه من آيات الله.. وبين ما كانوا يتمنونه فى سرائرهم لبنى قومهم أن يفيئوا إلى نور الله ويهتدوا إلى الحق.. فى قلوبهم تختلط المسرات بالأحزان.. إن القتلى من المشركين من بنى قومهم، جمعتهم أعراق وأرحام.. وصداقات سابقة ومودات.. أين ذهب هذا كله مع عناد الكفر والضلال وعبادة السؤدد

والذات والبغى والتجـبر على من هداهم الله إلى الإسـلام.. قد اضطر بعض المسلمين لمقاتلة أقرباء قريبى القرابة لهم.. لم يسـعوا إلى ذلك وتحاشوه قدر مسـتطاعهم، لولا عناد الكفر والضلال الذى دفـع هؤلاء إلى الإمعان فى مطاردتهم للنيل منهم وإيذائهـم وتقتيلهم حتـى لم يعد من مواجهتهم بد!! هؤلاء الصالحون الأبرار الذين قدموا الإسلام على مـا عداه.. على عشـيرتهم وذوى قرباهم.. أبو عبيدة بن الجراح وعمر وعلى وحمزة ومصعب ابن عمير.. ما كل هذا الولاء والحب لله ورسـوله وللإسلام..».

«النبـى - ﷺ - فى خلوتـه يتعبد ويتحنث ويتهجـد ويناجى ربـه.. يتنـزل عليه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يوحـى لمحمـد) ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المجادلة الآية ٢٢].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المسلمون بعد أن ارتفعت المعركة، وتم دفن المسلمين والمشركين.. ينظرون إلى ما أفاء به الله عليهم بعد النصر من فيء وأنفال وسهمان.. ترى ماذا هم بها فاعلون.. إذا وزعوها فكيف؟!.. فإذا تركوا ذلك للرسول عليه السلام، فكيف يكون أمرها، وما مصيرها؟! لمن هي؟! وعلى أي أساس؟! لم يسبق لهم عهد بذلك، ولا يعرفون ماذا هم فاعلون!!».

«النبي - ﷺ - خال إلى نفسه، يتعبد ويتهجد ويناجي ربه.. يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآية ١].

(يرتفع الوحي)

«النبي عليه السلام في تبتله ودعائه لربه أن يهديه إلى ما يريد أن يكون عليه ما كلف به.. يتنزل إليه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآية ٤١].

(يرتفع الوحي)

* * *

«النبى - ﷺ - وسط المسلمين ببدر، منشغلون بتطبيب جرحاهم قبل الإعداد للعودة للمدينة بأسراهم من قريش.. المسلمون يريدون تطيير أنباء النصر إلى المدينة..».

أحدهم : يا رسول الله، أمامنا وقت حتى نصل المدينة، ألاّ نبعث أحدًا يبشر الناس بنصر الله..

النبى : أصبت.. (مناديًا) إلىّ بعبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة..

«عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة يهرعان إلى النبى عليه السلام.. يكل إليهما أن يسبقا إلى المدينة لتبشير الناس بالنصر.. يعهد إلى عبد الله ابن رواحة بتبشير أهل «العالية»، وإلى زيد ابن حارثة بتبشير أهل «السافلة».. يطيران بالخبر إلى المدينة..».

* * *

«بالعقيق يفترق الصاحبان، ييمم عبد الله بن رواحة إلى «العالية»، ويمضى زيد بن حارثة راكبًا «القصواء» ناقة النبى - ﷺ - إلى «السافلة»..

«بالعالية وقد اشتد الضحى.. عبد الله ابن رواحة يقف ينادى من على راحلته»..

عبد الله بن رواحة : يا معشر الأنصار.. أبشروا بسلامة رسول الله.. قد هُزم المشركون وأسروا وولى الأدبار منهم من استطاع.. قتل ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وأبو جهل، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود.. وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب.

عاصم بن عدى : (يخرج إليه من مجلسه) أحقًا ما تقول يا ابن رواحة؟!

ابن رواحة : إى والله، وغدًا يقدم رسول الله بالأسرى مقرَّنين..

«يمضى ابـن رواحة براحلتـه مناديًا بالنصر بـين الدور، يبشـرهم دارًا دارًا.. يتابعه الصبية منشدين: قتل أبو جهل الفاسق!!».

* * *

«مدافن المسـلمين بالبقيـع.. عثمان بن عفان وأسـامة بن زيـد وأبو لبابـة بن المنـذر ونفر من المسـلمين بادو الحزن يغالبـون عبراتهم يوارون رقية بنت الرسول ﷺ.. غالبت المرض فغلبها ولبت نـداء ربها.. ما يكادون يسوون التراب حتى يأتيهم نبأ قدوم زيد بن حارثة على «القصواء» إلى المدينة.. يقول الآتون بالخبر إنه يمم شطر مسجد الرسول..».

«فـى طريقهـم إلى المسـجد، يعترضهم أحد المنافقين..».

المنافق : (شامتًا) قد تفرق أصحابكم تفرقًا لا يجتمعون بعده أبدًا!! قتـل عِلْية أصحابه، وقتل محمد، وهذه ناقته نعرفها، جاء عليهـا زيـد لا يدرى ما يقول من الرعـب!!.. قد جاء فلاً (فرارًا)!!

أبو لبابة : (للمنافق) يكذب الله تعالى قولك..

بعض اليهود : ما جاء زيد إلا فَلاً!!

«يغضـى عنهم أبـو لبابة وصحبـه، ويغذون السير ليلحقوا بزيد فى المسجد..».

«بمسجد الرسول.. زيد بن حارثة واقف يعلوه بشر وغبطة، يروى للمسلمين ما كان من نبأ بدر.. يعدد لهم صور البطولة وما رأوه من آيات الله الذى أمدهم بمدد من الملائكة مردفين.. يدخل عثمان بن عفان وأبو لبابة وأسامة بن زيد ومن معهم فيشهدون الفرحة فى عيون زيد ويسمعون بشارته للمسلمين.. يترددون فى إنهاء الخبر الحزين إليه، لا يريدون أن يقطعوا عليه بشارته.. برغمهم يتسرب النبأ إليه وإلى الناس.. تختلط الأفراح بالأحزان.. تفيض البسمات فرحًا بالنصر وتنثال عبرات المحبين حزنًا على مهجة الرسول.. يشفقون على النبى - ﷺ - من النبأ الحزين حين يصل المدينة فيفجأ برحيل محبوبته رقية!!».

* * *

«فى دار زيد بن حارثة، وقد خلا إليه ابنه أسامة.. لا يخفى أسامة قلقه وشوقه إلى الاطمئنان..».

أسامة بن زيد : (لأبيه) يا أَبَه، أحقّ ما تقول؟

زيد بن حارثة : إى والله حقًا ما أقول يا بنى..

أسامة : ما لهذا المنافق وباقى يهود يقولون ما قالوا؟!!

زيد : ماذا قالوا؟

أسامة : قالوا قبحهم الله إن رسول الله قتل، وإن أصحابه قتلوا، وإنك يا أبه قد جئت من هناك فلاً!!

زيد : كذبوا!!

«أسامة ينطلق بحثًا عن المنافق ومن شايعه من اليهود.. يصادفه بحى من أحياء المدينة..».

أسامة : (للمنافق مقرعًا) أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين؟! لنقدمنك إلى الرسول إذا قدم لتلقى جزاءك!!

المنافق : (متراجعًا) لا عليك.. إنما هو شىء سمعته من الناس واليهود يقولونه!!

«ينصرف أسامة..»

* * *

«النبى - ﷺ - يتأمل فى أحوال المشركين والمنافقين.. ماذا زين الشيطان لهؤلاء وأولاء.. لا يلتفتون إلى ما هم عليه من باطل وضلال، ويرمون المؤمنين بما هو فيهم من غرور ونفاق وبهتان.. يوافيه الروح الأمين فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآية ٤٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

«عسكر المسلمين ليلاً ببدر.. العباس بن عبد المطلب مشدود الوثاق مع الأسرى، تؤذيه الحبال ويعييه الوثاق مع جسامة حجمه.. يرتفع

أنينه وتوجعه فيصل إلى أسماع النبى – ﷺ – إنه عليه السلام ليذكر ماذا صنع له العباس بعد موت أبى طالـب.. وإنه ليذكر كيف خرج معه إلى الأنصار يشد من أزره ويقف إلى جواره ليلة بيعة العقبة.. يعلم أنه خرج مكرهًا لا يستطيع أن يجاهر قريشًا بما فى قلبه.. يرق قلب النبى عليه السلام لأنين عمه، فيجافيه النوم..».

«بعـض الصحابة يدخلـون إلى عريش النبى عليه السلام فيلاحظون ما يعانيه!».

أحدهم : ما أسهرك يا نبى الله؟!

النبى : أنين العباس!

«يمضى أحدهم إلى الأسـرى، يتلمس العباس حتـى يجده، فيرخـى وثاقه.. ويكـر عائدًا إلى النبى عليه السلام..».

النبى : ما لى لا أسمع أنين العباس؟

أحد الصحابة : إنى أرخيت وثاقه يا رسول الله..

النبى : فافعل ذلك بالأسارى كلهم..

منادٍ : يا معشـر المسلمين استوصوا بالأسـارى خيرًا.. يقول لكم رسول الله استوصوا بالأسارى خيرًا..

* * *

«طريق المدينة مكة الساحلى.. عند ثنيّة لفْـت (موضـع بين مكـة والمدينـة).. يلتقـى بنو عدى ابن كعب الذين فارقوا قريشًـا وعادوا – مع قافلة أبى سـفيان بن حرب تغذ السـير بالعير والتجارة

إلى مكة.. يعجب أبو سفيان لعودتهم دون سائر قريش!».

أبو سفيان : (متعجبًا) كيف رجعتم، لا فى العير ولا فى النفير؟!!

أحد بنى عدى : أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع، فلم نر ما رأوه من قتال لا غاية له ولا نفع فيه!

«يطرق أبو سفيان مليًّا ولا يجيب.. تحدثه نفسه بنذر شؤم وشيك على قريش!!».

* * *

«مكة.. لا يزال المتخلفون من قريش يخرجون كل يوم إلى الأبطح وذى طُوى يتسقطون أخبار من خرجوا لقتال محمد – ﷺ – ما يكادون يرجعون عند مغيب الشمس إلى البيت العتيق، حتى يفجأون بمقدم الحَيْسمان الخزاعى.. يطيرون إليه بقلقهم وهواجسهم..».

بعضهم : ما وراءك؟!

الحَيْسمان : قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم ابن هشام (أبو جهل)، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البخترى بن هشام..

«يمضى الحَيْسمان معددًا من خسرتهم قريش، ومن وقعوا بالأسر.. وقريش كأن على رؤوسها الطير.. لا تصدق ما تسمع، ولا تستطيع أن تكذب.. ينبرى منهم صفوان بن أمية مناديًا من مجلسه فى الحجر..».

صفوان بن أمية : لقد ذهب عقله.. والله إن يعقل، لقد طار قلبه، فسلوه عنى!

أحدهم : (للحَيْسمان) فماذا كان من أمر صفوان بن أمية؟

الحَيْسمان : (يشـير إلى صفوان فى مجلسه بالحجر) ها هو ذاك قاعدًا فـى الحجر.. (بعـد لحظة) قد والـلات والعزى رأيت أباه وأخاه حين قتلا!!

«يسقط فـى يد القرشيين.. يطرقون واجمين.. لا ينبسـون ببنـت شـفـة.. يعلوهـم هـول لا يستطيعـون إخفاءه!!».

* * *

«دار أبى لهب بحـى من أحياء مكة.. يأتيه من يبلغه بالنبأ الفاجع.. يغالب أبو لهب الصدمة وينهض متثاقلاً إلى بيت أخيه العباس لعله يجد هناك ما يشفى غليله..».

«دار العبـاس.. أبو رافع غلام حدث ضعيف البنية.. جالس ينحـت أقداحًا فى حجرة زمزم وعنـده أم الفضل زوج العبـاس.. يدخل عليهم أبو لهـب مهمومًـا يجر رجليه جـرًا.. يلقـى بنفسـه على طُنُب الحجرة (حبل يشد به الخباء والسـرادق وما نحوهما).. لا يكـاد يعرف كيف يجلس.. ظهره إلى ظهر أبى رافع.. يغالب ما فيه من فزع وغم.. يقدم عليهم أبو سفيان بن الحـارث ابن عبد المطلـب..يبـادره أبو لهب..».

أبو لهب : هلـم إلىّ يا ابن أخى، فعنـدك لعمرى الخبر!.. أخبرنى كيف كان أمر الناس؟

ابن الحارث : (آســيا محزونًا) والله ما هــو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا.. (يلتقط أنفاسه) وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس..

أبو لهب : (مقاطعًا فى غيظ ودهشة) ما لمت الناس؟!

ابن الحارث : يــا عـم.. لقد لقينا رجــالاً بيضًا على خيل بُلْق (بيض) بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئًا (ما تبقى شيئًا) ولا يقوم لها شىء..

أبو رافع : تلك والله الملائكة!

«يهتــاج أبو لهــب.. يرفع يــده ويضرب أبا رافع ضربة شديدة على وجهه.. ثم يهجـم عليه فيلقيه أرضًا ويجثم فوقه..».

أم الفضل : (لائمــةً وقــد طارت إلى الغلام تدفع عنــه بعمود من عمد الحجرة) استضعفته أن غاب عنه سيده؟!

«ينهــض أبو لهــب فيولى مخزيًــا ذليلاً.. لا يعيش بعدها إلا سبع ليال فيداهمــه الموت..».

* * *

«النبى – ﷺ – يستعرض الأسرى من قريش..».

بعض الأسرى : يا رسول الله، تعلم أنا كنا نأتيك فنشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.. هؤلاء القوم خرجنا معهم خوفًا!

أحدهم : يا رسول الله، ألم نصل إلى قبلتك ونشهد شهادتك؟!

«النبى عليه السلام لا يجيب..»

آخرون : (مؤيدين) هددونا وقالوا لنا لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره واستبحنا ماله!

أحدهم : فيمــن تخلفوا عنك يا رســول الله صبية وغلمانٍ ونســاء ومستضعفون لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً..

«النبى ﷺ مطرق لا يجيب..»

«يلتئــم الصحابة من المهاجريــن والأنصـار..

يتذاكر المهاجرون ما يعرفونه من أمر نفر أســلموا

وما استطاعوا أن يخرجوا مهاجرين من مكة..».

أحد المهاجرين : ولكنهم خرجوا فقاتلونا مع المشركين!

آخر : قد أكرهوا! ما كانت لهم حيلة..

ثان : ناشدتك الله، ألا تعلم أن ممن قتل أو أصيب وأسر – من أسلم وأخفى إسلامه اتقاءً لشر قريش؟!

ثالث : (مؤيدًا) أخفوا إســلامهم خوفًــا ورهبةً، وأكرهتهم قريش على الخروج لقتالنا!

رابع : (مصادقًا) بعض شــباب قريش قد أسلموا سرًا، وأخرجهم آباؤهم مكرهين.. منهم من قتل، ومنهم من وقع فى أسرنا!

أحدهم : ناشدتكم الله، ألا تعلمون أن على بن أمية بن خلف أخفى إســلامه خوفًا من أبيه.. وأبــا القيس بن الفاكه بن المغيرة، وأبا منصور بن الحجاج، وقيس بن الوليد بن المغيرة.. وعمرو بن أمية بن أبى سفيان.. بل والوليد بن عتبة.. هؤلاء أسلموا سرًا وخرجوا لقتالنا كرهًا!!

آخر : (مضيفًا) وآخرون غيرهم: الحارث بن زمعة بن الأســود، والعاص بن منبه بن الحجاج، وسلمة بن هشام..

الثانى : كانوا مسلمين فأكرهوا.. ألا نستغفر لهم؟!

أحدهم : (معترضًا) لم يهاجروا كما هاجرنا! خاصمونا فخصموا!!

آخر : والمستضعفون من الولدان والنساء والمرضى! لم يكن لهم حيلة!!

«النبى – ﷺ – خال إلى نفسه، يتعبد ويتهجد ويناجى ربه.. يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يوحى لمحمد) ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩)﴾ [سورة النساء الآيات من ٩٧ – ٩٩].

(يرتفع الوحى)